

أضواء البيان

@ 224 @ .

كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في عدم قتلهم ، لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، ولكن كان جهادهم بالقرآن لا يقل شدة عليهم من السيف ، لأنهم أصبحوا في خوف وذعر يحسبون كل صيحة عليهم ، وأصبحت قلوبهم خاوية كأنهم خشب مسندة ، وهذا أشد عليهم من الملاقاة بالسيف . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { ضَرَبَ اللَّيْثُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ۗ أَمْرٌ أَوَّعٌ وَأَمْرٌ أُنْجُوعٌ وَوَجْهُ لَأُولَئِكَ عَذَابُهُمْ ۖ كَافِرُونَ ۗ } . أجمع المفسرون هنا على أن الخيانة ليست زوجية . .

وقال ابن عباس : نساء الأنبياء معصومات ، ولكنها خيانة دينية بعدم إسلامهن وإخبار أقوامهن بمن يؤمن مع أزواجهن . . .
وقد يستأنس لقول ابن عباس هذا بتحريم التزوج من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده ، والتعليل له بأن ذلك يؤذيه ، كما في قوله تعالى : { وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ۚ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ ۚ مِنْ بَعْدِهِ ۖ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ۚ } . .

فإذا كان تساؤلهن بدون حجاب يؤذيه ، والزواج بهن من بعده عند الله عظيم ، فكيف إذا كان غير التساؤل وبغير الزواج ؟ إن مكانة الأنبياء عند الله أعظم من ذلك . . .
وقوله تعالى : { فَلَا يُمْرُّونَ بِهَا ۖ يَكْفُرُونَ بَهَا ۖ وَمِنْ أُمَّهَاتِهِمْ مُرْتَدَاتٌ ۚ أُولَٰئِكَ يُنْفَخُ عَنْهُمْ أَوْصَالُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ } . . .
وقوله : { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ وَالْبُيُوتُ مُخَوَّاتٌ ۚ وَأُولَٰئِكَ يُنْفَخُ عَنْهُمْ أَوْصَالُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ } . . .
وجعل الله هاتين المرأتين مثلاً للذين كفروا ، وهو شامل لجميع الأقارب كما قدمنا . . .
وقد سمعت من الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في معرض محاضرة له الاستطراد في ذلك ، وذكر قصة هاتين المرأتين ، وقصة إبراهيم مع أبيه ونوح مع ولده ، فاستكمل جهات القربات زوجة مع زوجها ، وولد مع والده ، ووالد مع ولده . وذكر حديث (يا فاطمة إعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً) . . .

ثم قال : ليعلم المسلم أن أحداً لا يملك نفع أحد يوم القيامة ، ولو كان أقرب قريب